الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة الشهيد محمد العربي بن مهيدي

-أم البواقي-

المستوى : السنة الثانية تاريخ

محاضرات مقياس :

تاريخ وحضارة المغرب القديم/ 2

أستاذ المقياس: د. نورالدين مرزوقي

محاضرات المقياس:

المحاضرة الأولى: التنظيم الإداري للمقاطعات الرومانية في بلاد المغرب القديم.

المحاضرة الثانية: العِمارة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

المحاضرة الثالثة: المعتقدات الرومانية بلاد المغرب القديم.

المحاضرة الرابعة: المقاومات المُورية (الأمازيغية) للاحتلال الروماني.

المحاضرة الخامسة: المسيحية في بلاد المغرب القديم.

المحاضرة السادسة: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم.

المحاضرة السابعة : الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم.

المحاضرة الثامنة: أوضاع بلاد المغرب قُبيل الفتح الإسلامي.

****

المحاضرة الأولى:

التنظيم الإداري للمقاطعات الرومانية :

اتسم احتلال روما للمغرب القديم سياسيا وإداريا بالتدرج والبطء والمرونة، عملا بالمقتضيات السياسية والاقتصادية والعسكرية. وتتلخص أهم خصائص الإدارة الرومانية في بلاد المغرب القديم في :

1/ اللامركزية الإدارية :

بمعنى عدم تجميع السلطة في يد مسؤول أوحاكم واحد، فقسمت المنطقة إلى مقاطعات مستقلة عن بعضها، وربطتها بالإدارة المركزية في روما مباشرة، ويبدو أن مرمى روما من هذا الإجراء يعود إلى:

- التخوف من الحكام والمحكومين؛
- تجنب تشكيل وحدة مقاومة وطنية شاملة؛
- تسهيل جباية الضرائب؛
- التمكن من التدخل السريع لقمع المتمردين وإخضاعهم؛
- جمع المنتوجات والحاصلات المتنوعة وتصديرها إلى روما.

2/ تقسيم المناطق على أساس مدني وعسكري : ويتعلق هذا بمدى تغلغل النفوذ الروماني ومدى جاهزية المنطقة والسكان للاحتلال الروماني، وقُسِّمت المناطق إلى نوعين :

أ/مناطق سيناتورية: يسيرها بروقنصل يعينه مجلس الشيوخ (=السِّناتو) على مقاطعة تابعة للإمبراطورية الرومانية، ويشمل هذا النوع المناطق الآمنة التي مضى على احتلالها مدة طويلة وترومنت أي أخذت بأساليب الرومنة، وكان حكمها حكما مدنيا ومداخليها تذهب للخزينة العامة ويمثل هذا النوع؛ قرطاجة.

ب/ المناطق العسكرية: هي مقاطعات تابعة للإمبراطور يسيرها قاضٍ مُخَوَّل (*legat*) يُعَيِّنه الإمبراطور، ولا يتدخل مجلس الشيوخ في كيفية إدارته. ويتميز هذا النوع بحداثة عهده بالسلطة وثوراته المستمرة الشيء الذي يتوجب إرساء حكم عسكري للتصدي لهذه الثورات، أما حكمها فكان عسكريا ومداخيلها تذهب لخزينة الإمبراطور الشخصية ويشمل هذا النوع من المناطق نوميديا وموريتانيا.

3/ **تقسيم المقاطعات** : قسمت المقاطعات إلى أربع وهي :

أ/إفريقيا البروقنصلية :

وتشمل الأراضي الموروثة على قرطاج منذ عام 146 ق م والممتدة من السرت الصغير إلى شمال وشرق تونس حاليا ، أما نظامها فكان مدنيا لندرة النشاط العسكري فيها ولتمتعها بسلطة مدنية أثناء فترة الوجود القرطاجي ، وقد أضاف لها يوليوس قيصر إفريقيا الجديدة (نوميديا الشرقية) عام 46 ق م؛ التي تشمل منطقة عنابة وقالمة وسوق أهراس وتبسة وشط الْجَرِيد التونسي ، وعاصمتها قرطاجة.

ب /نوميديا :

كانت عاصتمها: قيرطا (قسنطينة) تمتد من الحدود الغربية لمقاطعة البروقنصلية من ناحية الشرق إلى غاية الوادي الكبير غربا ، ثم تنزل جنوبا إلى مدينة كويكول (جميلة -سطيف) وتنحدر إلى شط الحضنة. وقد أسندت مهمتها لقائد الفرقة الأوغسطية الثالثة [1] بفعل الاضطرابات التي تشهدها.

ج/موريتانيا : أُلحقت بممتلكات روما عام 42 م بعد القضاء على ثورة إيدمون، وتم تقيسمها إلى قسمين:

1. موريتانيا القيصرية (عاصمتها: قيصرية/ يول = شرشال): تمتد من الوادي الكبير إلى واد ملوية على الشريط الساحلي محصور بين الأطراف الشمالية للهضاب العليا، ووُضعت تحت حكم "وكيل الامبراطور".
2. موريتانيا الطنجية: تمتد إلى الغرب من واد ملوية، وأوكلت مهمة تسييرها إلى "وكيل الامبراطور" يقيم في طنجة (عاصمتها). وحدث أن جُمِعَت الموريتانيتان تحت حكم وكيل واحد مثلما حدث في عهد "غَالْبَا"

---

[1]. الفرقة الأوغسطية الثالثة: فرقة عسكرية رومانية مدعمة بكتائب مُسَاعِدة (*auxillia*). كانت تضم، في عديدها، أكثر من 12 ألف جندي. مقسمة إلى خمس فرق تتألف كل فرقة من 19 فوجا (يضم الفوج 480 جنديا). وتضم الفرق المساعدة 15 ألف رجل مؤلفة، غالبا، من جنود منحدرين من المستعمرات الرومانية (سوريون، نوميديون، غاليون، جرمان...). يرجح أنها أسست في أيام الإمبراطور ترايانوس).

(*Galba*) [1] و"سبتيموس سيفريوس" و"كاركالا" و"هادريانوس"، بهدف جمع القوات تحت قيادة واحدة .

أما المدن الموضوعة تحت سلطة الاحتلال الروماني فقد صنفت إلى ثلاثة أصناف[2] هي :

- مدن حليفة للرومان، مثل : ثابسوس (رأس ديماس/ تونس) ولبتيس مينور(لَمْطَة / تونس).
- مدن حرة مثل: تيبازة؛
- مدن معفاة من الضرائب، مثل: حضرموت (سوسة /تونس).

وقد اختلفت هذه المدن باختلاف أهميتها الجغرافية والسياسية؛ فمنها مدن سُمِح لها بالحفاظ على نظام حكمها القديم كقرطاج أي: وجود حاكم وقضاة ومجالس من الأعيان، ومنها أخرى حافظت على نظام تعيين حاكمها البربري من طرف الإمبراطور الروماني، شرط أن يحمي ما بجوار مدينته من أملاك وحدود معينة رسمها له الرومان، وكانت روما، تسمح للسكان المحليين أن ينتخبوا أعضاء المجالس المحلية.

وقد تغيرت الحياة الاجتماعية للسكان المحليين في ظل الاحتلال الروماني وهذا من جراء :

- الاستيلاء على الأراضي الخصبة التي يملكها ملوك البربر أو الشعب؛
- تجنيد السكان في جيش روما وإرسالهم إلى الخارج لمحاربة أعداء الإمبراطورية (الهون[3]، القوط[4]، ...).
- انتزاع أراضي العائلات والأفراد الذين يثورون على نظام الحكم الروماني؛
- كِراء الأراضي للمور بشرط أن تكون لهم علاقته طيبة مع روما: فتحول المور من مُلاّك إلى أجراء ؛
- جمع ضرائب متنوعة من السكان (ضريبة الأفراد، وضريبة العقارات، وضريبة المبادلات التجارية...).

أما البلديات فقسمت إلى أربع تصنيفات هي :

أ/ المستوطنات الرومانية : وهي مدن أسسها الرومان أو استقبلت مجموعة من السكان يتمتعون بحق المواطنة الرومانية، ويعتبرسكانها مواطنين رومان سواء بالأصل أو القانون، وهم يتمتعون بقوانين منسوخة على قوانين روما وتتمتع هذه المستوطنات بالاستقلال الإداري .

ب/ البلديات الرومانية :كانت لها مؤسسات كالمستوطنات شبيهة بمؤسسات روما بنفس الألقاب والمهام، والفرق بينهما: أن أراضي النوع الثاني تخضع لأعباء ضريبة، في حين أن الصنف الأول معفى منها.

ج/البلديات اللاتينية: هي بلديات أقل رومنة وسكانها أقل اندماجا؛ لذا تزود بالقانون اللاتيني فقط.

د/بلديات الغرباء: هي البلديات التي يكون معظم سكانها من الأهالي.

يتضح مما سبق أن المواطنين الرومان، غزاة المغرب القديم، كانوا يتمتعون بالحقوق السياسية ويمتلكون الأراضي، ويستفيد جنودهم من الغنائم لأنهم الأداة المساعدة على بسط نفوذهم في أراضي الغير.

أما سكان شمال إفريقيا فحرموا من حقوقهم فُرضت عليهم التزامات تتمثل في خدمة الرومان سواء كجنود أو مزارعين ولذلك نشبت عديد الثورات ضد الوجود الروماني في المنطقة.

---

[1] . غَالْبَا: امبراطور روماني ولد في اسبانيا. خليفة الإمبراطور نيرون حكم لسبعة أشهر (68- 69 م). قتله حرس الإنبراطور أوتو (Oton).

[2] . هناك تصنيف آخر للمدن متعلق بالدور ومهام كل مدينة سنتطرق إليها في محاضرة العمران الروماني.

[3] . الهون (*Huns*): [الهياطلة في المصادر العربية]: قبائل مغولية عاشت في أعالي نهر هوانغ-هو (النهر الأصفر). سيطروا في القرن الـ: 2 أو الـ: 3 م، على "منغوليا" وأسسوا إمبراطورية لم تعش طويلا. والهون أقوام شديدو المراس، يقضي الرجال منهم حياتهم على ظهور الخيل. عرفوا بأنهم رحل لا يعرفون الاستقرار وسحنتهم تثير الاشمئزاز، ويخفون تحت شكلهم الآدمي فظاعة الحيوان المتوحش. وقد نظر الرومان ثم الجرمان الى قبائل الهون المتبربرة نظرة الفزع، لِمَا اشتهرت به من السرعة الخارقة والمبالغة في أعدادهم عند انطلاقهم للغزو. غَزَوْا الإمبراطورية الرومانية في القرن الـ: 5 م، تحت إمرة قائدهم "آتيلا" (*Attila*)، ودمروا تقريبا الإمبراطورية الشرقية والغربية.

[4] . القوط (Goths): قبائل جرمانية قدِمت من إسكندنافيا واستقرت، في القرن الأول ق.م، أدنى نهر الفيستولا، ثم انتقلت إلى شمال البحر الأسود، ومن هناك شنّت حروبا مستمرة على روما. اعتنقوا، في القرن الـ: 4م، المذهب الآريوسي. وسنة 375 م، وتحت ضغط قبائل الهون تفككت دولتهم إلى قسمين؛ قوط غربيون استقروا في داكيا (رومانيا) وقوط شرقيون استقروا شمال البحر الأسود. نهب القوط الغربيون بقيادة ملكهم آلاريك، روما عام 410 م، وانتقل خلفاء آلاريك إلى بلاد الغال (فرنسا الآن) وإسبانيا. إلا إنهم هُزموا في بلاد الغال على يد قبائل الفرنجة (أو القبائل الجرمانية التي احتلت فرنسا) في أواخر القرن الـ: 5 م لكنهم استمروا في إسبانيا حتى عام 711 م. هزمت قبائل الهون القوط الشرقيين في سبعينيات القرن الـ: 4 م، ومن ثم عاش القوط الشرقيون تحت سيطرة الهون حتى موت آتيلا ملك الهون القوي عام 453م. وبعد ذلك انتقلوا إلى وسط أوروبا حيث انضم إليهم الملك ثيدوريك عام 471م، الذي غزا إيطاليا عام 489م، واحتلوها عام 493م، واستمر القوط الشرقيون فيها حتى هزمتهم الإمبراطورية البيزنطية (الرومان الشرقيون) عام 550م.

المحاضرة الثانية:

العِمارة الرومانية في بلاد المغرب القديم

تعددت المرافق العمرانية أثناء الاحتلال الروماني للمنطقة، وقد استحدثتها روما سعيا منها لتوفير كافة الظروف التي تساعد على استقرار المستوطنين. نميّز فيها:

المدن:

اتخذت أنواعا عديدة حسب الدور الذي تلعبه كل مدينة؛ فهناك **المدن التجارية الساحلية** كحضرموت (سوسة/ تونس) وصلداي (بجاية)؛ وهناك **المدن الريفية** وقامت على أساس الفلاحة كـ: دوقة (*Thugga*) في تونس وتيبيليس (*Tibilis*) (سلاوة عنونة / قرب كالاما [قالمة])، وهناك **المدن العسكرية:** وأنشئت لغايات عسكرية كتيمقاد ولامبيز (تازولت قرب باتنة)، وزوّد الرومان هذه المدن بمرافق متنوعة مثل:

1/ الفوروم: (*Forum*) (الساحة العمومية/ المُنتدى):

هو ساحة مُبلَّطة تحيط بها المباني العمومية والدكاكين، وتزينها أقواس تؤدي إلى سلالم، وغالبا ما تحمل نُصُبا شرفية كتماثيل الأباطرة وسادة المدينة، ومن أبرزها: فوروم تيمقاد (أنظر الصورة أعلاه) وفوروم تبورسيكو (تُبُرْسق/ بلدة خميسة قرب سوق أهراس).

2/ البازيليكا (*Basilica*):

مرفق متعددة الوظائف في المدينة الرومانية؛ استخدمها الرومان، الذين اقتبسوا بناءها من الإغريق (اليونان) كغرفة تجارية وكذا للتقاضي وإجراء المرافعات وسماع شكاوى الناس وتظلماتهم. وبعد انتشار المسيحية، مارس فيها المسيحيون الرومان الأوائل طقوسهم وشعائرهم الدينية. من نماذجها؛ بازيليكا تيفاست (تبسة).

3/المعابد:

تقام في كل الأحياء تقريبا لآلهة متعددة، وتبني المدن الأكثر ترومنا معبد الكابيتول على غرار كابيتول تيمقاد وسوفيتولا (سبيطلة التونسية) التي بها معبد الإله أسكولابيوس (إله الطب والشفاء الروماني أصله إغريقي).

4/ أقواس النصر:

<ـــ تمثل الصورة قوس نصر الإمبراطور كاراكالا بتبسة)

تُقام هذه الأقواس لتخليد انتصارات القادة العسكريين، منها؛ قوس نصر كاراكالا بتيفاست (تبسة) وقوس نصر الإمبراطور ترايانوس بتيمقاد (باتنة)، وقوس نصر الإمبراطور سبتيموس سيفيروس في لبتيس ماغنا (لبدة الكبرى/ ليبيا).

5/ المسارح والملاعب والمدرجات:

تعتبر مؤشرا على ازدهار المدن ومن النادر أن تنعدم هذه المرافق في المدينة؛ فالملاعب أقيمت لسباق العربات والمدرجات للمصارعة والمسارح[1] لمشاهدة المسرحيات التراجيدية[2] والكوميدية، مثل مسرح تيمقاد ومسرح جميلة ومسرح مدينة ثوسدروس (الجَمُّ/ في تونس).

6/ الحمامات:

تعتبر، بدورها، اختراعا رومانيا أصيلا، وتحمل عدة مظاهر كالمظهر الحضاري والصحي والثقافي. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ساخن، وقسم خاص بالماء الفاتر، وقسم بارد، وكانت بعض الحمامات مُجهزة بقاعات للمحاضرات وأخرى بمكتبة وأخرى للرياضة. كحمام ماسكولا، وحمام مادوروس (مداوروش)

(صورة تمثل بقايا حمام روماني في مدينة ماسكولا/ خشلة حاليا)

إضافة إلى المرافق المذكورة آنفا توافرت المدن الرومانية على؛

- القنوات الناقلة للماء (*aqueduc*) المرفوعة على قناطر ضخمة (تسمى أيضا الحنايا)؛ مثل قنوات بشيلقة (المسيلة) على وادي القصُب، وقناة كيرتا (الواقعة على وادي الرمل)، وقناة قيصرية (شرشال).
- الجسور والطرق المرصوفة بالحجارة والأسواق، وكلها شاهد على ما بلغه الرومان في فن تخطيط المدن.

وتميزت العمارة الرومانية، عموما، بِقِبابها وأقوسها واستغلال الرخام في تجميلها، وتجلّت عبقريتهم خاصة في حُسن استخدام الفسيفساء التي بلغت الروعة في دقة صورها وتنوع مواضيعها، كالفسيفساء الموجودة في كنيسة تيبازة.

****

[1] - تعتبر المسارح الإهليجية اختراع روماني أصيل، في حين انهم أخذوا المدرجات والملاعب عن الإغريق.

[2] - التراجيديا: هي المسرحيات ذات الطابع المأساوي (المأساة)، في حين أن الكوميديا: هي المسرحيات ذات الطابع الهزلي المُسَلِّي (الملهاة).

المحاضرة الثالثة :

المعتقدات الرومانية في بلاد المغرب المغرب:

عُرف الرومان بكثرة آلهتهم وأولوا عناية خاصة لها، كما أنهم أخذوا من بعض الأمم التي استولوا عليها بعضا من آلهتهم، واعتقد علماء روما بأن الآلهة مختلفة باختلاف الأمم التي ماهي إلا مظاهر لأصل رباني عام .

من جهة أخرى نرى أن المغاربة عُرف عنهم انفتاحهم على ديانات الشعوب المجاورة ما لم تُفرض عليهم بالقوة، ومن أمثلة ذلك أخذهم عن الديانة المصرية والفينيقية. ورغم أن روما لم تحاول فرض عبادتها على شعوبها المستعْمَرَة ماعدا فرضها لعبادة الامبراطور، إلا أن سكان المغرب رفضوا الديانة الرومانية، لارتباطها في أذهانهم بسياسة الهيمنة الرومانية المصاحِبة للاحتلال الروماني، والتي جعلتهم في أدنى التصنيفات مقارنة بأثرياء الرومان والمعمرين.

لكن المُتَرَوْمنين من الأهالي أخذوا بهذه الديانة، ثم أن الآلهة الرومانية انتشرت في بلاد المغرب عن طريق التجار والإداريين والعسكريين، فظهرت عبادة "الكابيتول" الذي يضم الآلهة الثلاثة؛ جونو وجوبتير ومنيرفا. كما سعى الاحتلال الروماني إلى رَوْمنة الديانة الليبو-بونية باستنساخ الآلهة البونية في الآلهة الرومانية؛ كعبادة "كايلستيس" (*Caelestis*) المُستنسَخة عن تانيت وعبادة ساتورن (*Saturne*) المُستَنسخ من بعل-حامون .

وعَمَد الإمبراطور أغسطس إلى تكريس عبادة الإمبراطور عندما اتخذ لنفسه كنية: "الرب"، وحذا الأباطرة الذين أتو بعده حذوه في هذا الجانب، و تم فرض عبادة الإمبراطور على السكان المغاربة كغيرهم من المناطق الخاضعة للامبراطورية.

لكن ما يلاحظ على هذه الديانة أنها ذات صبغة سياسية أكثر منها دينية، لذلك ظلت محصورة في المدن وخاصة بين المعمرين والرومان والجيش والموظفين والمتروْمنين من المغاربة من بعض الأهالي، في حين ظل باقي الأهالي على إخلاصهم لمعبوداتهم ومعتقداتهم القديمة التي ظلت منشرة في الطبقات الاجتماعية الدنيا.

ومهما يكن من شيء، فإن الرومان لم ينجحوا في ترسيخ عبادة الامبراطور في وجدان المغاربة، وانحصر مجال نجاحهم في فرضها على المعمرين وبعض المترومنين من الأهالي.

****

المحاضرة الرابعة :

المقاومات المُورية (الأمازيغية) للاحتلال الروماني

تعد مقاومة المغاربة للاحتلال الروماني ظاهرة تاريخية لا يمكن تجاهلها. واتخذت هذه المقاومات أشكالا عدة بحكم الظروف التي اندلعت فيها كل مقاومة، ولكن جميعها صبّ في قالب واحد؛ هو رفض المغاربة للاحتلال الروماني والسعي لطرده بشتى الطرق والوسائل.

أولا :مقاومة يوغرطة:

أ. سيْرورة الثورة: ولد يوغرطة في 160 ق م، اتصف بالشجاعة وقوة الشخصية، ناضل حتى وفاته بغية توحيد النوميديتين وإيقاف الزحف الروماني في الفترة الممتدة (116-106 ق. م). وبدأت المناوشات بينه وبين الرومان برفضه قرار تقسيم نوميديا لثلاث دويلات، ومن هنا شن حربا على أنصار روما وهزمهم في 116 ق م وأصبح موحد نوميديا من جديد، ثم أن مملكته أصبحت متاخمة لافريقيا الرومانية. وبهذا أضحت روما متأكدة أن يوغرطة الذي فتك بجاليتها المقيمة في سيرتا، لن يتوانى في الهجوم على الرومان في ولاية إفريقيا.

وعندما أخفقت محاولات روما العسكرية للفتك بهذا القائد، لجأت إلى استعمال أسلوب دنيء؛ تمثّل في تحريض صهره بوكوس (بوخوص) ضده، فَنَصَبَ هذا الأخير كمينا انتهى بالقبض على يوغرطة وقَتْلِ كل مرافقيه، ثم سلَّمه مكبلا بالأغلال إلى القنصل الروماني سولا (*Sulla*) الذي نقله إلى القنصل ماريوس نهاية صيف 105 ق. م إلى أن توفي، عام 104ق.م، في سجنه في روما بعد قضائه ستة أيام دون طعام.

ب. انعكاسات مقاومة يوغرطةعلى منطقة نوميديا:

- اقتطاع روما الجزء الغربي من المملكة ومنحه لبوكوس، كعربون عرفان منها لمساهمته في القضاء على ثورة يوغرطة، بل ومنحته لقب: "حليف روما وصديقها".
- منح الجزء الشرقي من نوميديا المتاخم للولاية الرومانية لشقيق يوغرطة الأمير غودا، بيْد أن هذا الأخير كان فريسة للمرض وضعيف شخصية.
- خَلْق مملكة في القسم الأوسط من نوميديا أي؛ من واد الشلف غربا إلى الحدود الغربية لملكة غودا غربا تمتد حتى صلداي (بجاية).
- استغلال ثروات نوميديا المقسمة وموريتانيا المُوَسَّعة اللتين أصبحتا الممون الأساسي للرومان عسكريا واقتصاديا.
- استصدار قانون روماني خاص عرف بقانون "سارتورنوس"سنة 103 ق.م؛ والذي يمنح المحاربين القدامى الذين وقفوا الى جانب الرومان ضد يوغرطة، الحق في الحصول على أرض تصل مساحة الواحدة إلى خمسة وعشرين هكتارا.
- اعتبار الأراضي المتبقية من نوميديا ملكية الشعب الروماني، بوصفها أراضي الشعب المهزوم.

ثانيا : مقاومة يوبا الأول :

أ. سيْرورة الثورة: أثناء الصراع السياسي الذي نشب في روما بين القنصلين: يوليوس قيصر وبومبيوس، انحاز يوبا الأول إلى صف بومبيوس بحكم أنه كان حليف والده في السابق، وانتقل بنفسه لنجدة "فاروس" (*P.A Varus*)حاكم أوتيكا، وللانتقام من "كيريون" (C. S. *Curio*) حليف قيصر، وتمكن من تحقيق نصر على كيريون وجيء إليه برأسه، الأمر الذي دفع بقيصر للنزول إلى إفريقيا والتصدي لخصومه البومبيين بنفسه، فدخل في صراعات شرسة معهم انتهت بانتصاره في معركة ثابسوس (*Thapsus*) [46 ق.م] (في تونس وتسمى حاليا: رأس ديماس)، اضطر هنا العاهل النوميدي يوبا الأول للفرار إلى عاصمته زاما التي أغلقت أبوابها في وجهه، بل ورفضت تسليمه أفراد عائلته، ما دفعه للانتحار مَخَافَة أسره من قبل الرومان.

ب. نتائج هزيمة يوبا الأول على نوميديا :

- قيام قيصر بإزالة نوميديا وجعل منها مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة (*Africa Nova*) ؛

- منح القسم الشمالي الغربي من مملكة نوميديا إلى سيتيوس (*Sittius*)[1] ومرتزقته؛
- مَنْح القسم الغربي من المملكة لبوكوس الثاني مكافأة لوقوفة إلى الجانب الروماني ودعمه لهم؛
- قيام الجالية الرومانية بنهب خيرات وثروات المملكة.

ثالثا : مقاومة أربيون (عرّابيون) :

هو ابن ماسينيسا الثاني ، استغل فرصة التصدع السياسي الذي أعقب مقتل قيصر سنة 44 ق.م، وابتدأت مقاومته بدعمه لسيكتيوس حاكم إفريقيا الجديدة للدفاع عن منصبه ضد كورنيفيوس حاكم افريقيا القديمة. وقد تمكن آربيون من توجيه ضربات للإمارة السيتيانية بحيث قضى على زعيمهم سيتيوس عام 43 ق.م وأبعد معمري سيتيوس عن سيرتا، وتمكن أيضا من إبعاد بوكوس الثاني عن نوميديا الغربية، وبهذا استرجع آربيون، في سنة 44 ق.م، الكيان النوميدي الغربي.

لكن انتصارات أربيون أثارت حفيظة سيكتيوس الذي دبر مؤامرة اغتياله سنة 40 ق.م بتهمة التواطؤ مع حاكم إفريقيا الجديد أي: كورنيفيوس.

رابعا: ثورة قبائل الغارامنت:

تمتد حدود قبائل الغارامنت من منطقة فزان إلى المنطقة الملاصقة لخليج السرت (في ليبيا)، وتمتعت بنفوذ قوي على الصحراء والعاصمة جرمة؛ إذ كانوا مركزا مهما لتبادل السلع لوقوعهم بين الساحل والصحراء، ما منحهم مكانة تجارية كبيرة، كما كانوا يمدون، باستمرار، يد العون للقبائل النوميدية والجيتولية الثائرة على روما، ما جعل هذه الأخيرة تقرر القضاء على نفوذهم لتصبح القوة الاقتصادية الوحيدة في المنطقة، فأرسلت إليهم (20 ق.م) حملة بقيادة البروقنصل "ل. كـ. بالبوس (*L. C. Balbos*) أسقطت عاصمتهم جرمة ومناطق أخرى واحتفل بانتصاره وكُرّم.

يُشار إلى أن هذه الثورة حدثت زَمَنَ الملك النوميدي يوبا الثاني [حَكَم بين 25 ق.م و 23 م] الذي كان مواليا لروما، ويطبق سياستها ضاربا بمصالح شعبه عُرض الحائط.

خامسا: ثورة قبائل الجيتول:

تمتد أراضي قبائل الجيتول [وتُعرف باسم: جدَالة أيضا) من المحيط الأطلسي غربا إلى فزان شرقا، وهم نوعان؛ جيتول شرقيون جنوب النوميد وجيتول غربيون شمال موريتانيا، أكثرهم متنقلين وقلة منهم تستقر في أكواخ. ويشغل الجيتول موضعا إقليميا بين الصحراء الكبرى والمناطق الساحلية.

ولكوْن أغلب مناطق هذه القبائل باتت تحت سيطرة روما، فقد انتفضت زمن الإمبراطور تيبريوس على المد الروماني الذي توسع على حساب مناطقها الرعوية، وقد أحدثت حالة من الهلع، حتى أن القائد ك. لونتولوس *(C. Lentulus)* الذي قضى عليها سنة 6 م كُرّم بلقب: جيتوليكوس (*Gaetulicus*) أي: قاهر الجيتول! [دلالة على أن الثورة مثّلت صداعا حقيقيا للرومان].

سادسا: ثورة تاكفاريناس :

أ. سيْرورة الثورة: تزعم هذه المقاومة قبيلة الموسلامي (المَزَالِمة) من منطقة الأوراس، وتوسعت فيما بعد لتصل منطقة الظهرة والونشريس، بعد أن سخر الاحتلال الروماني كل الحيل لمصادرة أراضي الأهالي وضمها إلى ما يعرف بـ: "أملاك الشعب الروماني".

قاد هذه الثورة تاكفاريناس وهو رجل من أبرز قواد نوميديا؛ إذْ جُنِّد مساعدا في الجيش الروماني في سن السادسة عشر برتبة مساعد، واكتسب أثناء تجنيده خبرة كبيرة، لكنه سرعان ما فر من الجندية بعد أن تراءت له مظالم الرومان في حق بني جلدته .

ب. أسبابها :

- جاءت كرد فعل على مشاريع الاستيطان الرومانية لقائمة على انتزاع الأراضي من مُلاَّكها الأصليين،

---

[1] **سيتيوس مرتزق إيطالي كان نصيرا ليوليوس قيصر في حربه ضد يوبا الأول. اتخذ، في مستهل حياته، أعمال القرصنة في البحر المتوسط حرفة لكنه عانى من شبح الإفلاس. وابتغاء تجنب ذلك من جهة وزيادة غنائمه من جهة أخرى، سافر إلى افريقية (بلاد المغرب القديم) وآزر القنصل قيصر في حربه ضد القنصل الروماني الآخر بومبيُوس المدعوم من يوبا الأول.**

وتوزيعها على الجاليات الإيطالية والجنود المسرحين.

جـ. تنظيمها :

عمد تاكفريناس إلى تقسيم الجيش إلى قسمين: قسم نظامي مدرب على القتال بقيادته هو، وقسم غير نظامي بقيادة مازيبا (*Mazippa*) وأوْكَل له مهمة إشعال الحرائق في مزارع المستوطنين، لزرع الهلع والرعب في صفوفهم. ففيما يتعلق بالقسم النظامي، الذي كان تحت قيادته، فقد قام بتقسيم بعض فرقه إلى وحدات صغيرة العدد مهمتها الإغارة على العدو وإلحاق أكبر خسائر به، ثم الإنسحاب السريع بعد ذلك دون الاشتباك المباشر مع الجيش الروماني.

د. أهداف الثورة:

- إرغام العدو على التوقف عن مصادرة الأراضي؛
- إرجاع الأراضي التي أخذها سابقا لأصحابها.

هـ. خصائصها:

- استمرت لمدة 7 سنوات كاملة من (17-24م)؛
- عمَّ نشاطها معظم بلاد النوميديين والموريين دون مراعاة الحدود السياسية؛
- تجاوزت الاعتبارات القَبَلية بانضمام النوميد والموريين والغارامنت والجيتول إليها؛
- تجاوزت الإطار الجغرافي الضيق واتسع مجالها؛
- كان زعيمها قائد متمرس بفنون القتال وعارف بنفسية الجند الروماني وخطط قادته.

و. ردود الفعل على ثورته:

بفعل انتصاراته المدويّة على روما، انضمّ عديد المدنيين الرومان إلى ثورته خوفا على أنفسهم، لغاية مجيء البروقنصل "كـ . دولابيلا" الذي استهل حملته بتسليط القمع على السكان، كما قام أيضا بـ:

- منح بعض رؤساء القبائل أراضي خصبة جراء انسحابهم من الثورة والإلتحاق بفرق الجيش الروماني؛
- ضرب أعناق بعض رؤساء الموزلامي الرافضين لعرضه؛

وفي الوقت ذاته تجهَّز الملك النوميدي بطليموس [حكم بين (23- 40 م) ابن يوبا الثاني وكان موالٍ للرومان] انطلاقا من عاصمته شرشال بفرق من أتباعه لمراقبة تحركات السكان المناهضين للرومان والتصدي لهم. هذا، وعمد دولابيلا إلى إجراءات أخرى تمثلت في:

- تصغير وحدات وفرق الجيش؛
- انتهاج أسلوب المباغَتَة.

وبفضل حصوله على مساعدة من بعض السكان وبث العيون وراء أعدائه واتصاله المستمر بالمخبرين المندسين، تمكن دولابيلا من تحقيق انتصارات على تاكفاريناس، لكن تاكفاريناس فضّل الإستمرار بالرغم من خسارته أعدادا كبيرة من جنده، ووقوع ابنه في الأسر في معركة قرب أوزيَّا (سور الغزلان/ بالمدية حاليا) إلى غاية سقوطه النهائي أثناء مباغتة الجيش الروماني له بضواحي نفس المدينة، وبهذا تفككت ودانت البلاد للرومان مكرهة من جديد.

<u>ز. نتائج ثورة تاكفاريناس:</u>

- توسيع مجال الاحتلال؛
- تعديل وضعية السكان؛
- تشديد التحصينات وخطوط المراقبة على مناطق المقاومة السالفة؛
- مصادرة الأراضي الخصبة وإخضاعها لعمليات التقنين المُعتادة (كالمسح والتجزئة والتسجيل)؛
- ترك بعض الأراضي الرعوية الجبلية في يد بعض القبائل المتعاونة معهم ضد تاكفارياس.

سابعا: ثورة إيدمون:

لمَا اغتال الإمبراطور الروماني "كاليغولا" الملك بطليموس غِيلَّة سنة 40 م، أثار إيدمون، المقرّب من الملك، سكان الأرياف والمدن النوميدية المتذمرين من مقتل ملكهم، ضد روما فعمَّ البلاد اضطراب شديد،

دفع الإمبراطور كلوديوس، خليفة كاليغولا، لاستدعاء فرقتين عسكريتين كاملتين من اسبانيا لمواجهة هذا الاضطراب في نوميديا وموريتانيا، حتى بلغ عديد الجيش الروماني بـ: 20 ألف مقاتل، الأمر الذي مكنه من القضاء على الثورة في أقل من عامين (40-42 م).

ثامنا: ثورة صابال (سَبَعْل):

اندلعت ثورة عارمة في الجنوب الوهراني بقيادة "صابال" (*Sabal*) عام 43 م (عهد الإمبراطور الروماني كلوديوس)، لكن الرومان بقيادة هوسيديوس غيتا (*Hosidius Géta*) هزموه وقبضوا عليه بعد مقاومة شرسة. وعلى الرغم من قضاء الرومان على "صابال" فإن المقاومة في هذه المناطق ظلت مشتعلة، ما جعل روما تكثف تحصيناتها وخطوطها الدفاعية لإحكام قبضة الاحتلال وحماية المناطق التي تحت سيطرتها، بإنشاء شبكة دفاعية هي؛ الليمس.[1]

استمرار الثورات:

الثورة	تاريخها	مسارها
الدوناتيون [أتباع دوناتوس راهب قرطاج]	313-410م	حركة ذات بعد ديني دعت إلى تطبيق تعاليم الرب؛ المتمثلة في العدالة والتسامح وإلغاء الطبقية.
ثورة الدوارين	347-411م	امتداد للحركة الدوناتية؛ كانوا يحومون حول أهراء الحبوب لسرقتها وترويع كبار المُلاّك. هاجموا الكنائس وممتلكات المعمرين الرومان. ناصروا الفقراء والعبيد ضد الأثرياء.
ثورة فيرموس (*Firmus*) ابن نوبيل (Nubel)	370-375م	اندلعت في جبال جرجرة وانضم له سكان الموريتانيتين وأتباع دوناتوس، فجمع نحو 20 ألف محارب من "المور"[2] وتوجه بهم إلى قيصرية [شرشال]؛ إذ حاصرها ثم اقتحمها وحرقها. توسعت ثورته بنوميديا، ولم يجد الرومان سبيلا للقضاء على ثورته إلا بتجنيد أخيه جليدون ضده. [شنق فيرموس نفسه].
ثورة جليدون (*Gildon*)	396-398 ميلادية	- كان، في البدء، مواليا للرومان ضد أخيه فيرموس، وبمقتل أخيه بات قائدا لنوميديا القيصرية والسطايفية. - تحالف مع الدوناتيين وناهض التفاوت الطبقي والاستغلال والتوسع الرومانييْن. - مَنَع السفن من شحن الحبوب والتوجه صوب روما، ووزَّع ثروات الرومان على المور. - قضت روما على ثورته مستعينة بـ: مكزيزل (*Macsezel*) (أخ جيلدون)؛ إذ زوّدته بـ: 5 آلاف جندي، وتقابل الأخوان في معركة أردالیو (*Ardalio*) بنواحي تبسة. ورغم أن قوات جليدون كانت مقدرة بـ 70 ألف جندي، إلا أنها كانت تفتقر إلى التنظيم ما كان سببا في انهزامه وإخماد ثورته.

---

[1]. الليمس (*Limes*) أو الثغور: ثلاثة خطوط دفاعية رومانية غاية في التحصين والمناعة؛ أول، يمتد بطول ساحل بلاد المغرب القديم (الليمس الساحلي). وثانٍ، بطول القمة الشمالية للهضاب العليا (الليمس الداخلي)، ويدعى "الليمس النوميدي" أيضا. وثالثٌ، يمتد، موازٍ للخطين الآخرين، نحو الجنوب (الليمس الجنوبي). ويرتبط كل خط من هذه الخطوط بالخط التالي له، بواسطة خطوط تتعامد تقريبا مع الخطوط الأفقية وتتبع طرق اختراق المرتفعات المختلفة. وأقام الرومان هذه الخطوط في أزمنة متباعدة، تلافياً لغارات قراصنة البحر وهجمات قبائل الصحراء وتمرد القبائل الجبلية].

[2]. ساد مصطلح المور لدى كتاب القرن الرابع الميلادي، وكان أميانوس ماركولانوس أول من استعمله، أثناء حديثه عن ثورة فيرموس، للدلالة على جميع الأهالي المستقلين عن السلطة المباشرة للمدن أو المقاطعات، الذين كانوا خارج السيادة الرومانية والوندالية ثم البيزنطية. ثم عُمّمَ مفهوم المور على سكان المناطق الفالتة من أيدي حكام المقاطعات في كل من القيصرية ونوميديا منذ القرن الرابع الميلادي، بحيث تكرر الاسم في كتابات أميانوس ماركولانوس وفي النقوش، دالاً على الأقوام الثائرة على الرومان بمن فيهم الأمراء والعشائر الحليفة التي انتفضت وناوأت الرومان؛ ثم على لسان بروكوبيوس الذي استعمله باستمرار للدلالة على أحلاف الوندال من الأهالي، دون تمييز بين من كان منهم نوميدياً أو بوارياً أو جيتوليا أو غيره. فالمور، بالنسبة لبروكوبيوس، هم سكان الاوراس والحُضنة والسهوب والمرتفعات الموريتانية الوسطى والغربية على السواء.

المحاضرة الخامسة:
المسيحية في بلاد المغرب القديم

1/ ظهور المسيحية في بلاد المغرب:

تعتبر سنة 180 م[1] بداية التحول في التاريخ المسيحي لبلاد المغرب القديم، وقد لعبت الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دورا هاما، وعاملا مساعدا في انتشار الدعاية المسيحية، هذه الديانة التي أضحت مُتَنَفَّسا للكثير من الأنفس الراغبة في العدل الاجتماعي، فتشكلت النوادي الأولى للتبشير المسيحي داخل المعابد اليهودية.

وكان الوُعَّاظ المسيحيون من المتطوعين الذين قدِموا من الشرق وايطاليا وانتشروا في مدن البروقنصلية ونوميديا وموريتانيا في مجموعات مسيحية موجهة من طرف الأسقف، ثم إن المسيحية قد انتشرت في إفريقيا، وتأصَّلت كإيمان جديد عند الأفارقة خاصة بعد اضطهاد الأباطرة لمعتنقيها.

2/ العوامل المساعدة على انتشارها:

غَلَبَ على المجتمع في بلاد المغرب القديم سمة العبودية والظلم والاستبداد والاستغلال الطبقي، وعليه فالمسيحية كانت تشكل أمل الطبقات الفقيرة في السعادة بحياة أخرى أفضل؛ تجعل الجميع سواسية أمام الله ولا فضل لأحد على آخر عدا في فعل الخير، ما جعل الفقراء والعبيد يكونوا السباقين في اعتناق المسيحية.

3/ ردود الفعل حولها:

حاولت روما إرغام المسيحيين الجدد على الرجوع إلى وثنيتهم أو القضاء عليهم، إلا أن أغلبهم رفض الرجوع، ووجد الكثير منهم في المسيحية وسيلة للمعارضة، الشيء الذي جعل الإمبراطورية تتخذ إجراءات لردع هؤلاء وتوحيد الإمبراطورية في دين واحد (الوثنية).

ورغم بطش السلطة الرومانية وتزايد عدد الضحايا من المسيحيين، فقد تضاعف عدد المتنصِّرين وباتوا يشكلون خطرا على روما، خاصة وأن التعاليم المسيحية منعتهم من المشاركة في أي عمل وثني، ذلك أن الإنجيل حرّم الرقص والعروض، وعارض عبادة الأوثان وكافة مظاهر الانحلال. كما أن الفئة المُعْتَنِقة هذا الدين عرفت الانزواء والانغلاق عن نفسها، ولم تعترف للإمبراطور المُؤلَّه ولم تشارك في احتفالات الولاء.

وأيا كان الحال، فلم تَبْقَ السلطة الرومانية الوثنية مكتوفة الأيدي وإنما صبت جامّ غضبها على المسيحيين، واحتدم الصراع بين الطرفين في نهايات القرن الثاني وبدايات القرن الثالث؛ فمثلا أصدر الإمبراطور سبتيموس سيفيريوس مرسوما عام 202 م يحرم فيه الدعاية المسيحية، وأمر بملاحقة المؤمنين والمبشرين بها.

ويلاحظ أن الصراع كان، في البداية، بين أباطرة روما الوثنيين وبين المسيحيين في كل مستعمراتها، لكن الأمور تغيرت بعد سنة 381 م تاريخ الإعتراف بالمسيحية ديانةً رسمية للإمبراطورية؛ ذلك أن الصراع الديني في بلاد المغرب القديم أصبح بين الدولة الرومانية الكاثوليكية وبين المغاربة الذي اعتنقوا المسيحية الدوناتية [2] التي تعتبر نفسها حركة اجتماعية ثورية ضد الكاثوليكية المدعومة من الدولة ومُلاّك الأراضي.

---

[1] . ليس لدى المؤرخين معلومات دقيقة عن الإرهاصات الأولى لانتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم، غير أن الكثير من المؤرخين يرجح أن انتشارها في هذه البلاد حدث بداية من سنة 180م، التي شهدت أولى موجات الاضطهاد العنيفة التي مارستها السلطات الرومانية "الوثنية"، ضد المسيحيين في بلدة صغيرة تدعى "شيلي" (*Scilli*) القريبة من قرطاجة.

[2]. ظهرت الدوناتية على يد دوناتوس (يكنّى بـ: الأول) المنحدر من بلدة كازاي نيقراي (*Nigrae Casae*) أو "الأكواخ السود" القريبة من بغّاي (*Bagai*) النوميدية؛ أو بعبارة أخرى شمال شرقي الأوراس (باتنة). ويعد "دوناتوس الأول" الذي يُجهل تاريخ ميلاده، مؤسس المذهب الدوناتي المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية والذي سيتخذ اسمه. وفي المقابل، هناك دوناتوس ثانٍ ويُكنَّى بـ: "الكبير" أو "القرطاجي" (مولود بقرطاج سنة 270 م ومتوفى سنة 355م) وهو داعية المذهب الدوناتي بعد وفاة "دوناتوس الأول" عام 316 م وزعيمه لمدة أربعين سنة. ومن هذا المنطلق، فإن الذين نسبوا مؤسس الدوناتية لمدينة نقرين (التبسيّة) وقعوا في الخطأ؛ ذلك أنهم عندما أطلقوا كنية "النقريني" على دوناتوس (*Negrinus Donatus*) أخذوها، دون تأمل، من اسم مدينة نقرين (التي دُعيت زمن الرومان *Nigrenses Majores*)، في حين كان ينبغي أن يأخذوها من اسم بلدة كازاي نيقراي (*Nigrae Casae*) مسقط رأس "دوناتوس الأول".

وكان المسيحيون المغاربة يعادون سلطان روما، وكان الأساقفة المغاربة ميالين للاستقلال ويرفضون سيطرة أسقف الإمبراطورية عليهم، وحين تصالح قادة الكنيسة الدوناتية مع الإمبراطورية، بقيت الرعية وفية لمطلب الاستقلال، ما دفعها للالتفاف حول الحركة الدوناتية المنشقة، وأعطوا كنيستهم المحلية صبغة قومية واضحة دون أي اعتبار لمفهوم "الكثلكة" أي الجماعة.

وتسبب النشاط الدوناتي، في مدة قرن كامل، في مجابهات دموية كثيرة؛ حيث قاد المعركة من الجانب الكاثوليكي "القديس أوغسطين"[1] متكلا كليا عن السلطة المدنية، ومستفيدا من الرعب الذي استولى على كبار الملاكين بسبب ما احتوت عليه الحركة الدوناتية من أهداف ثورية اجتماعية. ومهما يكن من أمر، فقد انتصر القديس أوغسطين سنة 412 م، لكنه لم يستلذ بالانتصار إلا مدة قصيرة، بسبب استيلاء الوندال على بلاد المغرب القديم عام 429 م.

****

[1]. القديس أوغسطين؛ (354 -430 م). أحد أشهر قادة الكنيسة النصرانية القديمة. ولد في تاغاست (سوق أهراس) لأم نصرانية وأب وثني. سعى في شبابه إلى النجاح الدنيوي، واجتذبته عدة حركات غير نصرانية. وقد وصف حياته الأولى والصراعات الروحية التي عاناها في كتابه اعترافات، وهو واحد من أوائل السير الذاتية في الأدب. وفي أوائل الثمانينيات من القرن الـ 4 م، تعلّم أوغسطين البلاغة وفن الكلام المؤثر، في قرطاجة وروما، ثم في ميلانو بإيطاليا. وشجعه بعض أصدقائه على قراءة مؤلفات الفلاسفة اليونانيين. وقد أقنعت هذه الكتابات، ومواعظ القديس أمبروز أسقف ميلانو، أوغسطين باعتناق النصرانية. وفي عام 386 م قرر تكريس نفسه للعقيدة، وعمَّده أمبروز في العام التالي. وبعد فترة قصيرة عاد أوغسطين من إيطاليا إلى تاغاست، حيث نظَّم جماعة من الرهبان، وفي عام 391م سافر إلى مدينة هيبو ريجيوس (عنابة) المجاورة حيث أقنعه جمهور النصارى بالبقاء. وفي عام 391م رُسِّم قسيسًا في هيبو. عمل أسقفاً في هيبو من عام 396م حتى وفاته [أثناء حصار الوندال لمدينة هيبو]. كان لكتاباته تأثير قوي على الفكر النصراني في القرون الوسطى. تأثر بأفكاره جون كالفن ومارتن لوثر والإصلاحيين البروتستانتيين الآخرين، إيمانويل كانط وبليس باسكال.

المحاضرة السادسة:
الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

1/ **التعريف الوندال (الفاندال):** قبائل بربرية جرمانية أتت من نواحي بحر البلطيق إلى غالا (فرنسا) ثم اسبانيا التي استقروا بها عام 409 م، ثم عبروا عواميد هرقل (جبل طارق) إلى بلاد المغرب القديم عام 429 م في عهد ملكهم جِنْسِيرِيك.[1] وظلت دولة الوندال قائمة في بلاد المغرب حتى انتهى حكم آخر ملوكهم جيليمر بعد هزيمته من قِبل البيزنطيين (534 م).

2/ أسباب احتلال الوندال لشمال إفريقيا: اتجهت أنظارهم إلى بلاد المغرب تحت تأثير:

- ضغط قبائل القوط عليهم وحَمْلِهم على مغادرة إسبانيا؛
- رغبة الوندال احتلال روما عبر بلاد المغرب بعد أن استعصى عليهم اقتحامها عبر أوربا؛
- انتهاز فرصة ضعف السلطة الرومانية نتيجة لاشتداد مقاومة المور (المغاربة)، ومحاولة الوالي الروماني بإفريقيا بونيفاص (*Boniface*) الانفصال عن روما وإبداء رغبته في التعاون مع الوندال؛
- انجذابهم نحو بلاد المغرب المُغرية بثرواتها وأهمية موقعها.

3/ سيْرورة الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب:

قام "بونيفاس"، والي الرومان في بلاد المغرب، بالاستنجاد بهم مُعطيا إيّاهم وعدا بمنحهم الجزء الغربي من إفريقيا في حالة نصرتهم له على روما، فلبَّى ملكهم جِنْسِيرِيك نداءه في ماي 429 م. وقد انطلقت جُمُوع الوندال (80 ألفا من بينهم 15 ألف جندي) من ميناء طريفة الواقع على مضيق جبل طارق ونزلت على بنواحي "الغَزَوات" لتواصل زحفها شرقا فتحتل بونة (عنابة) سنة 430 م وتتخذها عاصمة مؤقتة، ثم قرطاج في: 19 أكتوبر 439 م التي أصبحت العاصمة الدائمة لهم.

ارتكب الوندال أثناء زحفهم أعمالا تخريبية؛ كقطع الأشجار وإتلاف المزروعات وتقتيل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ ورجال الدين، دون أن يلقوا أية مقاومة من السلطات الرومانية الحاكمة تحول بينهم وبين هذه الجرائم الفظيعة.

وعند مُعاينة بونيفاس لهمجية الوندال ونَكْثِهم العهود والمواثيق[2]، غيَر رأيه وطلب من إمبراطورة روما "غالا بلاكيديا" (*Gala Placidia*) العفو عنه وتهيأ لمحاربتهم؛ فالتقى الجيشان في معركة قرب كالاما (قالمة) انهزم فيها بونيفاس وانسحب إلى بونة. ورغم إمداده بالمساعدات من طرف الإمبراطورة إلا أنه انهزم مجددا، فقرر، عندها، الفرار إلى روما وهناك كرَمته الإمبراطورة تقديرا له على مقاومة الوندال.

أما الوندال فإنهم تمكنوا، في ظرف وجيز، من توسيع احتلالهم للمنطقة، وهذا بسبب مساعدة البربر النّاقمين على سلطة الرومان، وعجْزِهم عن طردهم وتحقيق استقلالهم. وبمساندتهم للاحتلال الوندالي يكون المغاربة قد استبدلوا احتلالا باحتلال آخر جَرْياً على قاعدة: "أخف الضررين".

4/ التنظيم الإداري والعسكري الوندالي لبلاد المغرب:

استولى الوندال على نوميديا وما جاورها غربا واتخذوا بونة عاصمة لمملكتهم. وبعدما استقر جِنْسِيرِيك ببونة أخذ ينظم شؤونه الداخلية والخارجية، واعتنى بالجندية والبحرية واتخذ جيشا من الوندال والبربر يشتمل على 80 فرقة. وكان جِنْسِيرِيك يستميل البربر ويتجنب إثارتهم، ويُغدق على جيشه بالغنائم، كما اتخذ أسطولا كبيرا جاب به فضاء البحر المتوسط واستولى به على أهم جزره. ثم دخل جِنْسِيرِيك قرطاج، ثم قام بتقسيم إدارتها إلى خمس عمالات ووزَع أراضيها؛ فمنح ولديْه هونيريك وجنتون (*Gento*) والجنود ومعمري الوندال مساحات كبيرة منها، وأبقى بعض الأراضي للأهالي (غير مُنْتِجة زراعيا).

أما نوميديا فلم يُحدث فيها جِنْسِيرِيك أي تغيير إداري أو استعماري، بل أبقى على النُّظم القديمة للسكان

---

[1]. تَعَاقَب على دولة الوندال في شمال إفريقيا ستة ملوك، هم:
1. جنسيريك (*Genseric*) أو (جِنّسريك): [429 -477 م]؛ 2. هونيريك (*Huniric*): [477 -484 م]؛ 3. غونثاموند (*Gunthamund*): [484-496 م]؛ 4. تراساموند *Trasamund*): [496 -525 م]؛ 5. هيلدريك (*Hildiric*): [525 م -530 م]؛ 6. جيليمير: (*Gelimer*) (آخر ملوكهم) [530 م - 533 م].

[2]. اتفق بونيفاص مع جِنْسِيرِيك على بقاء الوندال في الأراضي النوميدية لقاء دفعهم لضريبة الأرض لكن جِنْسِيرِيك خَرَق المعاهدة.

وترك لهم ولاتهم ومجالسهم البلدية وشرائعهم الذاتية، لكنه، بالمقابل، اتخذ فيها مراكز للجنود. ولم ينتزع من أملاك المور شيئا إلا ما كان من أملاك روما، وخَفَّض عليهم الضرائب المفروضة أثناء الاحتلال الروماني.

وكان الوندال مسيحيين على المذهب الآريوسي[1]، لذا، فقد اضطهدوا رجال الدين المخالفين لهم في المذهب؛ لاسيما الكاثوليك (بقايا المسيحيين الرومان في شمال إفريقيا)؛ فصادروا أملاكهم وأغلقوا كنائسهم واستحوذوا على ما بها من كنوز.

وينبغي الإشارة إلا أن الوندال عندما حلوا بالمنطقة سكوا نقودا في دار قرطاج على الطريقة الرومانية. وقد اكتشفت قطع منها في روسيكادا (سكيكدة) وقالمة، لكنها تعود إلى الملكين؛ جِنْسِيرِيك وهيلديريك ويغلب عليها معدني: الفضة والنحاس.

وحكم الوندال حكما ملكيا وراثيا استبداديا؛ فبعد وفاة جِنْسِيرِيك انتصب ابنه "هونيريك" (477-484 م) لكنه لم يكن في مثل تدبير ودهاء أبيه؛ إذ اتصف بضعف السياسة وبالقسوة، فحتى المقربين منه (أهله وحاشيته) لم ينجوا من بطشه، وكان من نتائج ذلك انكماش دولته في إطار ضيق. كما تميز عهده بثورات المور (المغاربة) المستمرّة.

في عام 525 م اعتلى هيلديريك العرش وكان مُسالما خالف سياسة أسلافه الإضطهادية المسلَّطة على الكاثوليك، ثم أعلن ولاء دولته للإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية. مع ذلك، فقد اغتال زوجة ملك الوندال السابق ما تسبب في ثورة الوندال عليه، الذين قبضوا عليه ووضعوه في السجن إلى أن وافته المنية، فخلفه جيلمير رئيس جنده المكلف بمحاربة المور.

وعموما، فقد ضعفت دولة الوندال في أيام جيليمير (آخر ملوكهم] ما جعل البيزنطيين يسارعون للإطاحة بها، وبالتالي، وإعادة الشمال الإفريقي كولاية مرة أخرى إلى حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية (=البيزنطية). في 533 م[2]، نشبت معركة بين القائد البيزنطي بليزاريوس من جهة والملك الوندالي جيليمير من جهة ثانية انتهت بانهزام الوندال. أما مصير "جيليمير" فقد أخذ أسيرا إلى القسطنطينية إلى أن وفاته المنية. وبهذا زال الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب.

5/ مقاومة المور (المغاربة) للوندال وظهور الممالك المورية المستقلة:

بالرغم من أن الملوك الوندال عمَروا في شمال إفريقيا أكثر من قرن، إلا أنهم جوبهوا بمقاومات عنيفة ما يَشِي بأن رفض سكان المغرب القديم للاستعمار موقف ثابت.

وفي واقع الأمر، فقد تبيّن للمغاربة أن الوندال أشدُّ قساوة من الرومان من حيث الاستغلال الاقتصادي والإساءة إلى السكان فثاروا عليهم. لاسيما في أيام هونيريك (كما ذكرنا آنفا) وشملت الثورات جميع المناطق (من موريتانيا غربا إلى طرابلس شرقا)، ما جعل وجود الوندالي ينحصر في المناطق الساحلية.

ومن المعروف لدى هواة التاريخ القديم أن الوندال لم يسيطروا على بلاد المغرب القديم، بشكل واسع، كما فعل أسلافهم الرومان؛ إذ احتلوا المنطقة الشمالية الشرقية فقط من هذه البلاد. وعموما فقد نتج عن ثورات المور على الوندال تأسيس ممالك محلية مستقلة، منها:

---

[1]. الآريوسية مذهبً لاهوتيً نصراني يُنسب إلى آريوس، القُسّ السكندري(بمصر). في حواليّ 318 م، رفض آرْيوس وأتباعه عقيدة التثليث: الأب والابن والروح القدُس، أنكر آرْيوسْ ألوهية المسيح وأكد أنه مخلوق. وفي عام 325 م، شجب مجمع نيقية تعاليم آريوس واصفًا إياها بالهرطقة وأكد على ألوهية المسيح. ومع ذلك، فقد ظلَّ الرأي القائل: إن المسيح ليس إلهًا، معمولاً به في الإمبراطورية الرومانية الشرقية طوال القرن الرابع الميلادي. شجب مجمع القسطنطينية الآريوسية، واعتبرها هرطقة في عام 381م، إلا أن تعاليم الآريوسية لم تتوقف عن الانتشار حتى بعد موت آريوس ذاته، وكان ممن تمسك بتعاليمها الملك قسطنس (خليفة قسطنطين الكبير). انتشر المذهب الآريوسي في إسبانيا والولايات الجرمانية وبريطانيا. كما نشره الوندال في منطقة شمال إفريقيا عقب احتلالهم لها.

[2]. يعتبر بعضهم أن سقوط دولة الوندال، وبالتالي، استرداد البيزنطيين لمنطقة الشمال الإفريقي، قد حدث بعد هزيمة آخر ملوك الوندال (جيليمير) في معركة تريكاماروم (*Tricamarum*) (موضع قريب من قرطاج) بتاريخ: 15 ديسمبر 533 م على يد الجنرال البيزنطي "بيلزيريوس" (*Bélisaire*). [رغم أن جيليمير فر، بعد هذه المعركة، إلى هيبون (عنابة) وتحصن بجبالها]. في حين يعتبر آخرون أن سقوطها حدث عقب استسلام جيليمير في النصف الثاني من شهر مارس 534 م. بعد أن تمت محاصرته لمدة ثلاثة أشهر، مع ما تبقى من جيشه، من لدن القائد البيزنطي "فاراس" (*Pharas*) (قائد المشاة ومساعد بيليزيريوس) في جبل قريب من هيبون (عنابة). بعد أن حكمت شمال إفريقيا ما يزيد عن قرن من الزمان (429-534م) .

- المملكة الصحراوية الطرابلسية (تَجَمُّع قبيلتي لواتة وهوارة). من ملوكها: قاباوون (*Gabaon*) أول من استعمل الجِمال في حربه على الوندال؛
- إمارة المُزَّاق: وسط تونس. من زعمائها: آنتالاس؛
- مملكة الأوراس: تركزت في أحواز بغاي وماسكولا (خنشلة). عمرت بين (477-484 م)، من ملوكها: ماستياس وإيوداس؛
- مملكة الحُضنة: بين طُبْنة (بريكة) والمسيلة. يرجح ظهورها بين 429-455 م، من ملوكها: أورتياس؛
- مملكة آلتافا: في الغرب الجزائري (نواحي أولاد ميمون/تلمسان) لم تُذكر إلا بعد سنة 508 م. من ملوكها: مازونا؛
- مملكة الْجَدَّار: نواحي فْرَنْدة (تيارت). من ملوكها مازوناس؛
- مملكة الونشريس: بنواحي الشلف التي لم يشهد لها حادث قبل سنة 535 م.

كان تأسيس هذه الممالك، والنزاع على السلطة بين أفراد العائلة الوندالية المالكة، والانغماس في حياة اللهو والترف، واعتبارُ بيزنطة نفسَها الوريث الشرعي للدولة الرومانية في المغرب، من العوامل التي عجّلت بسقوط دولة الوندال عام 534 م.

ومما يُقال على وجه الإجمال، أن الاحتلال الوندالي للمغرب بالرغم أنه استغرق أكثر من قرن، فإنه لم يذكر آثارا تذكر من الناحية الحضارية، بل هدم ما وجد وأغرق البلاد في بحار من الدماء والدموع.

****

المحاضرة السابعة:

الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم:

1/ التعريف بالإمبراطورية البيزنطية: هي استمرار للإمبراطورية الرومانية. وعُرفت أيضًا باسم: الإمبراطورية الرومانية الشرقية؛ لأنها حكمت ما يشكل القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية. وقد اشتملت خلال القرن الـ: 6 م (وهي الفترة التي وصلت فيها إلى أكبر اتساعها)، على أجزاء من جنوبي أوروبا وشرقيها والشرق الأوسط وإفريقيا الشمالية (بلاد المغرب). وقد أطلق سكان الإمبراطورية البيزنطية على أنفسهم اسم الرومان. واشتُقت كلمة "بيزنطي" من بيزانتيوم (بيزنطة)[1].

ونقل الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير، سنة 330 م، عاصمة الإمبراطورية من روما إلى بيزنطة (=مدينة إسطنبول الحالية في تركيا)، والتي أُطلق عليها اسم القسطنطينية بعد موته. ويرى بعض المؤرخين أن الإمبراطورية البيزنطية قد بدأت في تلك السنة، أي عام 330 م. في حين يرى آخرون أنها بدأت سنة 395 م، وهو تاريخ انقسام فيها الإمبراطورية إلى قسمين: الإمبراطورية الرومانية الغربية (عاصمتها روما) والإمبراطورية الرومانية الشرقية (عاصمتها بيزنطة).

ولئن قضت القبائل الجرمانية على الإمبراطورية الرومانية الغربية عام 476 م، فإن الإمبراطورية الرومانية الشرقية (=البيزنطية) قد فُتِحت من لَدُن العثمانيين سنة 1453م.

ويُشار إلى أن الإمبراطورية البيزنطية، بلغت في ظل حكم يوستنيانوس الأول [527 م-565 م]؛ أقصى اتساعها بضم آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان ومصر وشمالي إفريقيا (بلاد المغرب القديم) وفلسطين والساحل الجنوبي لإسبانيا وسوريا.

2/ أسباب وعوامل احتلال البيزنطيين بلاد المغرب:

- رغبة الامبراطور يوستنيانوس إنشاء امبراطورية عالمية واسترداد أمجاد الإمبراطورية الرومانية؛
- طَلَبُ كاثوليكيّي إفريقيا من هذا الامبراطور الأرثوذوكسي المذهب تخليصهم من الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الوندل أريوسيّي المذهب؛
- توسُّل الأهالي والأساقفة الأفارقة ضحايا الاضطهاد الوندالي المقيمين في القسطنطينية إلى يوستنيانوس كي يغزو بلاد المغرب فيسهل عليهم العودة إلى وطنهم؛
- سوء قيادة جيليمير وإنهاك الدفاعات الوندالية بسبب ثورات الأهالي المتوالية؛
- الخلاف الوندالي الداخلي: ويظهر ذلك من خلال عزْل الجيش الوندالي للملك هيلديريك (صديق يوستنيانوس) والاتيان بـ: جيليمير إلى الحكم ما أعطى فرصة للبيزنطيين[2] للتدخل في شؤون الوندال.

3/ الحملة[3] البيزنطية على بلاد المغرب: تدَّرجت وفق الخطوات التالية:

- طَلَبُ يوستنيانوس من الجيش الوندالي إعادة هيلديريك لمنصبه أو السماح له بالهجرة إلى القسطنطينية ورفض الوندال للطلب؛
- وقف يوستنيانوس حربه مع الفرس في الشرق للتفرغ للوندال في الغرب؛
- إقلاع الحملة (22 جوان 533 م) من القسطنطينية بقيادة بيليزيريوس (500 سفينة بها 10 آلاف محارب) نزلت، بعد 3 أشهر من الإبحار، في رأس قبوديا [خليج تاكاباي (قابس)]؛
- تَنَقُّل الجيش البيزنطي إلى قرطاج برا مرورا بـ: لبتيس (لمطة) وحضرموت (سوسة)؛

---

[1]. بيزنطة: مدينة قديمة أسسها الإغريق في القرن السادس ق.م. تحتل موقعا ممتازا بين قارتي آسيا وأوربا وتقع على مضيق البوسفور، الواصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة المتصل بالبحر المتوسط. وكان قسطنطين الكبير قد تبيّن أهمية موقعها فَهَجَرَ روما وانتقل إليها سنة 330 م، وأخذ في تعميرها ونسبها إليه، ولما افتتحها محمد الفاتح العثماني، أصبحت تدعى إسلامبول أي بمعنى مدينة الإسلام وقد غيرت فيما بعد إلى لفظة أسطنبول.

[2]. تطلق المراجع والمصادر الإسلامية على البيزنطيين اسم: "الروم".

[3] . دوَن المؤرخ بروكوبيوس القيصري [نسبة إلى قيصرية في فلسطين] وهو الكاتب الشخصي لـ: بيليزيريوس وقائع الحملة وكثير من معارك البيزنطيين في شمال إفريقيا، ويعد كتابه "حروب يوستنيانوس" في أجزائه المخصصة لحرب الوندال مصدرا هاما لمعرفة تاريخ الشمال الإفريقي في تلك الفترة (القرن السادس الميلادي).

- دَحْر القائد البيزنطي بيليزيريوس جيش جيلمير الوندالي في معركة تريكاماروم؛ 15 ديسمبر 533 م؛
- تحصُّن فُلُول جيش جيليمير بجبال (*Pappua*)، قريبا من بونة، ثم استسلامه (مارس 534 م) بعد حصار دام 3 أشهر فرضه عليه القائد البيزنطي "فاراس" (*Pharas*).

4/ التنظيم الإداري البيزنطي لشمال إفريقيا:

سارع البيزنطيون، عقب انتصارهم على جليمير، إلى إبادة بقايا السكان من الوندال الذين انتهت مملكتهم في المغرب بعد أزيد من قرن (429-534 م). وقد أحدث البيزنطيون عقب احتلالهم لمنطقة شمال إفريقيا تغييرات عدة في نظام الحكم؛ إذ عينوا حكاما مدنيين على المقاطعات الإفريقية التي ضموها لإمبراطوريتهم، واستمر هذا النظام إلى غاية 578 م، أين شرعوا في تعيين حكام عسكريين لمواجهة ثورات البربر.

وتسهيلا لحكم المنطقة ونهب خيراتها المتنوعة قسّم الإمبراطور يوستنيانوس الأول المنطقة إلى سبع مقاطعات:

1. تريبوليتانا (*Tripolitana*) : تشمل المناطق المحاذية للبحر من بيزاكينا إلى السرت الكبير بليبيا؛
2. بيزاكينا (*Bisacena*) أو (المزاق): تضم الجزء الجنوبي من الأراضي التونسية تقريبا؛
3. زوغيتانا (Zeugitana) أو (زغوان): شماليّ الأراضي التونسية؛
4. نوميديا: كانت تشمل غربي تونس وشرقي الجزائر؛
5. موريتانيا السطايفية: قاعدتها سطيف؛
6. موريتانيا القيصرية: عاصمتها شرشال.
7. سردينيا.

أما حضاريا فقد انشغل البيزنطيون في بلاد المغرب بتشييد الحصون والقلاع، لا رغبة في تعمير المنطقة بل مُحَاشَاةً لثورات القبائل المورية (البربرية). وقد تركوا عَادِيَاتٍ وآثاراً عمرانية لا تزال شاخصة إلى يومنا هذا، وفيها الدليل على تميز حضارتهم في مجال العمارة. ومنها المدن المحصنة الكبيرة مثل قرطاج وشرشال وأخرى "متوسطة" على شاكلة أويا (طرابلس) وكيرتا، وثالثة "صغيرة" ومنها تبسة.

وتعامل البيزنطيون، في مستهل احتلالهم للمنطقة مع السكان بسياسة اتسمت بالدهاء، لأن الأوضاع لم تستتب لهم بعد، وعليه توددوا للسكان وتجنبوا كل ما يثيرهم، لكن بمجرد أن ترسخت أقدامهم حتى أبانوا عن قسوة وعنف كبيريْن حيال المور ما دفع الأخيرين للثورة عليهم.

5/ ثورات المور على البيزنطيين: عانى البيزنطيون من الثورات الأهالي المستمرّة، ومنها؛

- ثورة أهالي المزاق (بيزاكينا) سنة 534 م: بقيادة كوتزيناس (*Coutsinas*) قائد القبائل الرُّحل التي كبدت، في البداية، البيزنطيين خسائر فادحة في الأرواح، قبل أن يخمدها القائد سولومون (خليفة بيليزيريوس) في معركة "مامّا".
- ثورة يبداس ملك الأوراس (صيف 535 م)؛ الذي هجم على سيرتا ثم على تيمقاد. وقد فشل سولومون في القضاء عليها في البداية لكنه قضى عليها سنة 539 م وتوغل بجيشه حتى بلغ موقع المسيلة حاليا وشيد قلعة "زابي يوستنيانا" قربها.
- ثورة أورتياس ملك الحُضنة (بين بريكة والمسيلة) التي قضى عليها سولومون حوالي سنة 540 م.
- ثورة قبيلة لوّاتة، سنة 543 م على الدوق سيرجيوس (Sergius) الذي صادر أراضي المور في إقليم طرابلس. فلما اتسع نطاق الثورة استنجد بـ: سولومون فقضى عليها، لكنه لقي حتفه في معركة كيلِيُّوم (*Cullium*) [القَصْرِين] سنة 544 م.
- ثورة أخرى في إقليم بيزاكينا (المزاق) بقيادة آنتالاس، أواخر سنة 545 م، التي أجبرت البيزنطيين على إخلاء إقليم نوميديا عدا بعض المواقع الساحلية.
- ثورة قبائل المور سنة 598 م وبلوغهم أبواب قرطاج ذاتها في زمن الإمبراطور يوستينوس الثاني خليفة عمّه يوستنيانوس الأول).

6/ أسباب انهيار الحكم البيزنطي في بلاد المغرب: واجه البيزنطيون إبّان فترة احتلالهم لبلاد المغرب عراقيل جمّة تمثلت، في:

- فساد الإدارة (جشع الولاة، ابتزاز الأهالي، تمرد الأدواق، ...)؛
- إفلاس الخزينة بسبب حروب الإمبراطورية المستمرة في الشرق والغرب؛
- تمرد الجنود المتوالي لعدم حصولهم على رواتبهم؛
- الإنفاق الطائل على إقامة التحصينات العسكرية؛
- إثقال كاهل الأهالي بالضرائب؛
- ثورات الأهالي المستمرة التي أنهكت البيزنطيين؛
- الصراع الديني بين المذاهب المسيحية وتدخل الأباطرة في المسائل الدينية شجع غريغوريوس (*Grégoire*) عن الانفصال عن الإمبراطورية.

ومنه فهذه العوامل مشتركة أسهمت في توفير الظروف الملائمة للقادة المسلمين للتخلص من الاحتلال البيزنطي في بلاد المغرب بعد أن ظل جاثما على أرضه المدة قاربت 113 سنة.

****

المحاضرة الثامنة:
أوضاع بلاد المغرب قُبيل الفتح الإسلامي

عاش المغرب القديم زَمَنَ البيزنطيين أوضاعا سياسية واقتصادية واجتماعية سيئة. نجملها فيما يلي:

أولا: الوضع السياسي:

عانت بلاد المغرب، قبل الفتح الإسلامي، من وطأة البيزنطيين (الروم) الذين سنوا فيها قوانين وأقاموا أنظمة لا تتناسب والتركيبة الاجتماعية للسكان، الشيء الذي تسبب في خلق فجوة بين الحكام والمحكومين وهو ما دفع السكان نحو التمرد على السلطة الحاكمة آنذاك.

هذا وظهرت ممالك بربرية مستقلة عن والي قرطاج، والواضح أنها استرجعت حريتها واستقلالها منذ أواخر العهد الروماني مرورا بالعهد الوندالي مثل: مملكة الأوراس ومملكة الزاب ومملكة لواتة.

ويُشار إلى أنه في أواخر العهد البيزنطي بمنطقة المغرب، تولى البطريرك غريغوريوس (جرجير)، حكم هذه المنطقة، الذي استغل ضعف السلطة المركزية بالقسطنطنية وأعلن نفسه، بتأييد رجال الدين والبابا ثيودوروس عام 646 م، إمبراطورا على ممتلكات بيزنطة في بلاد المغرب. وبعد مرور سنتين عن انفصاله عن البيزنطيين سنة 27هـ/648 م أي في عهد الخليفة عثمان بن عفان (ض)، حَمَلَ والي مصر آنذاك عبد الله بن أبي السرح على بلاد المغرب وحاصر غريغوريوس مع قواته في سبيطلة فهزمه وقتله، فبدأ، بذلك، عهد جديد هو: عهد بلاد المغرب الإسلامي.

ثانيا: الوضع الاقتصادي:

قام اقتصاد المُقاطعات المغاربيَّة البيزنطيَّة على الزراعة، وكانت إفريقية أغنى أقاليم المغرب مواردا (زراعية) وأكثرها سُكَّانًا وعُمرانًا، إلَّا أنَّ أغلب المزارع الكُبرى، كانت مُلكًا لِأرُستقراطيين روم، وكان الأهالي يعملون في تلك المزارع دون نيل حُقوقهم. أمَّا الفلَّاحون فمُنِحوا أراضي غير منتجة، وأُثقلوا بالضرائب؛ فقد كان الحاكم البيزنطيّ مُكلفًا بجمع المال الطائل من الولاية، لِتعويض ما يَنْضُب من موارد الدولة بِسبب خوض الحُروب في أوربا وآسيا.

وكان الحاكم كذلك يُرسل إلى العاصمة في كُلِّ سنة عددًا من السُفن المُحمَّلة بالغلال المغاربية لتموين أهالي بيزنطة بحجاتهم الغذائية، ونُصِّب عدد كبير من المُوظفين لِتحصيل هذه الضرائب كُلها. فليس غريبا، إذن، أن يقع ثقل هذه الأعباء الضريبية على المغاربة الذين تركوا، تحت الضغط والإكراه، مزارعهم وتجارتهم وانصرفوا لممارسة أنشطة بديلة، ما يعكس مدى تدهور أحوالهم الاقتصادية.

ثالثا: الوضع الاجتماعي:

أثرت الأوضاع السياسية والاقتصادية السالفة الذكر على حياة السكان المغاربة الذين عاشوا ظلما وتهميشا اجتماعيا سُلِّط عليهم من طرف البيزنطي. وتحت تأثير ثقل الضرائب انتشر الجوع والفاقة وآفات اجتماعية أخرى بين الأهالي، خاصة بين الفئات الاجتماعية المُعْدَمَة. ولهذا، فليس مستبعدا أن أفئدة هؤلاء كانت تتطلع لقدوم المسلمين ليخلصوهم من الغطرسة البيزنطية.

رابعا: الوضع الديني:

شهدت بلاد المغرب صراعا دينيا إبان حكم الوندال لمحاولة هؤلاء فرض مذهبهم الأريوسي القائل بطبيعة المسيح البشريَّة، واضطهدوا بقية المسيحيين وصادروا أملاك الكنيسة وأموالها وحوَّلوها إلى الآريوسيين. فلمَّا استعاد البيزنطيون بلاد المغرب من الوندالين، سعوا لحسم الخلافات الدينيَّة، فاستعادوا الكنائس المُغتصبة، وثأروا من الآريوسيين، واضطهدوا الدوناتيِّين واليهود، ولكنَّ ذلك لم يمنع انتشار مذاهب جديدة مثل النسطورية القائلة بِثُنائيَّة طبيعة المسيح الإلهيَّة والإنسانيَّة. ولم تنتهِ مشاكل المسيحيَّة عند هذا الحد، إذ انقسم اليُعاقبة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، وهو المذهب الرسمي للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة على أنفُسهم، وتدخلت الإمبراطورة ثُيودورا زوجة يوستنيانوس للمُحافظة على وحدة الكنيسة، وقامت بِإجراءاتٍ أثارت المغاربة الذين احتجوا على الإمبراطور في القُسطنطينيَّة والبابا في روما، فاستخدم يوستنيانوس ضدَّهم العنف ما أفضى إلى اتساع الهُوَّة بين الإمبراطوريَّة وبلاد المغرب أكثر.

في سنة 638 م ظهر في إفريقية المذهب المونوثيليتي (يقول أن المسيح إله وإنسان معًا)، وقد ساندہ الإمبراطور هرقل رغبةً منهُ في اكتساب تأييد اليُعاقبة وإنهاء الصراعات المذهبيَّة في البلاد. ولكن الكنيسة الإفريقيَّة عارضت هذا المذهب وأعلنت أُسقفيَّة قرطاج عدم صلاحيَّة هرقل لِحُكم البلاد وأفتت بخلعه عن العرش، وسُرعان ما تعقَّد الموقف أكثر مع الفتح الإسلاميّ لِمصر، إذ وفد بعض القساوسة اليُعاقبة من مصر إلى إفريقية لِنشر مذهبهم، وتمكنوا من إقناع الإمبراطور قُسطنطين الثالث بن هرقل بالسماح لهم بِمُمارسة شعائر مذهبهم بِحُريَّة، وأدَّى انتشار مذهبهم في إفريقية إلى وُقوف قساوستها في وجه الإمبراطوريَّة وإلى انفصالهم تدريجيا عنها، وعندما تولَّى الإمبراطور قُنسطانس العرش (641 م) وكان مُعتنقًا المونوثيليتيَّة، حرّض الأُسقف مكسيموس، أكبر مُعارضي هذا المذهب في إفريقية، سُكَّان المغرب المسيحيين والبربر على عزْل الإمبراطور وتنصيب حاكم إفريقية البطريرك غريغوريوس على العرش، وكان المُسلمون، آنئذ، على وشك أن يَفْرَغُوا من فتح مصر، وطرق باب المغرب.

وختاما؛ يتضح أن سكان المغرب قد عانوا الويلات في فترة الاحتلال البيزنطي، ما انعكس سلبا على حياتهم ودفعهم لرفع لواء المقاومة في وجه هذا المحتل، كلما توفرت الظروف الملائمة ويركنون له كلما تعكرت الظروف، وظلوا على هذه الوضعية لغاية الفتح الإسلامي في منتصف القرن السابع ميلادي، الذي سيفتح صفحة تاريخية جديدة في حياة سكان المغرب في ظل السيطرة الإسلامية لبلاد المغرب.

****

قائمة المراجع المُعتَمدة في المحاضرات:

الكتب:

***عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ج1 ،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2005 .**

***عمار بوحوش : تاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار البصائر ، الجزائر ، 2008.**

***مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج1، تقديم محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د.ت.**

***م. البشير شنيتي :أضواء على تاريخ الجزائر في القديم (بحوث ودراسات)، دار الحكمة ، الجزائر ، 2008.**

*** م. البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق م-40م) ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985.**

*** م. البشير شنيتي، الجزائر؛ قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013.**

*** قداش (محفوظ)، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة، صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993.**

***جوليان (شارل اندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، تعريب، محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969.**

***مهران (محمد بيومي)، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.**

***حارش (م. الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، 1992.**

***عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.**

الدوريات (المقالات) :

***إيمان شعبان : «بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي » مجلة العلوم الإنسانية ، المركز الجامعي علي كافي -تندوف -الجزائر ، مجلد 05 ، العدد 01، ص ص 27-40.**

*** مرزاق بو مداح: « أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الاسلامي من خلال الدراسات الاستشراقية -شارل آندري جوليان (1891-1991) » المجلة المحكمة للدراسات التاريخية ، مجلد 11 ، العدد 03(2023)، ص ص 62-80.**

***محمد فوكة : مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني ، مجلة عصور جديدة العدد 11و12 ، السنة 2013/2012.**

الرسائل الجامعية:

***جمال مسرحي : المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ،2009/2008.**

***عمران عبد الحميد:الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور (180-430)أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ،2011/2010.**

*** بلقاسم حماني : روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا بلاد المغرب انموذجا ، مجلة البحوث والدرسات العدد 9، يناير ، 2010.**

المحاضرات:

***أم الخير العقون : التنظيم الاداري للمقاطعات ، المحاضرة الثانية ،قسم التاريخ وعلم الآثار.**

مواقع على شبكة الانترنت:

الموقع الالكتروني :https://ar.wikipedia.orgi تم الاطلاع عليه بتاريخ 2023/02/21 على الساعة 18:04